مجلة الريادة للبحوث والأنشطة العلمية
Al-Riyadah Journal For Researches And Scientific Activities
العدد العاشر
سبتمبر September 2024

البحر المحيط بين التفسير بالأثر والتفسير بالرأي

دراسة تحليلية لأبي حيان الاندلسي

علي أبو القاسم المغربي
كلية الآداب العجيلات / جامعة الزاوية
aliamagrbiali42@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث الى دراسة تفسير القراءات القرآنية في كتاب البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي، وذلك من أجل إبراز الجهود اللغوية والنحوية لابي حيان، والوقوف على الظواهر الصوتية والنحوية في القراءات القرآنية، وما لها من تأثير في المعنى. وقد اتبع البحث المنهج التحليلي واجراءاته المتمثلة في جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها والموازنة بينها، وتوصل الباحث إلى مجموعة من النتائج منها: يعتبر كتاب البحر المحيط من أهم الكتب التي وصلت إلينا والتي تشمل جميع الدراسات اللغوية والصرفية والنحوية، والتي تحدثت عن الدراسات القرآنية وأخذت النصيب الأوفر من الدراسة المعمقة، وخاصة من حيث المعنى، فكان أبو حيان متخصصاً في الدراسات القرآنية. ومن خلال الدراسة تبين أيضاً أن أبا حيان كان مستقلاً بالرأي حراً في دراسته اللغوية والنحوية، فهو لم يكن متعصباً لأي رأي، إذ كان يناقش أراء العلماء ويوازن بينهما ثم يختار ما يكون في نظره صحيحاً.

Abstract:

The research aims to study the Quranic readings in the interpretation of Al-Bahr Al-Muhit in order to highlight the linguistic and grammatical efforts of Abu Hayyan, and to identify the phonetic and grammatical phenomena in the Quranic readings, and their impact on the meaning. The research followed the analytical method and its procedures represented in collecting information, classifying it, analyzing it, interpreting it, and balancing between them. The researcher reached a set of results, including: Al-Bahr Al-Muhit is considered one of the most important books that have reached us, which includes all linguistic, morphological, and grammatical studies. Quranic studies received the lion's share of in-depth study, especially in terms of meaning, as Abu Hayyan was a specialist in Quranic studies. Through the study, it was also shown that Abu Hayyan was exploiting his opinion freely in his linguistic and grammatical studies, as he was not biased towards any language, as he discussed the opinions of scholars and balanced between them, then chose what he considered correct.

المقدمة:

يلاحظ أن النحاة اختلفوا في توجيه القراءات ،مع أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وهذا ما أكده الحق سبحانه وتعالى في آيات عديدة، وقد بينت السنة النبوية الفعلية والقولية أن القرآن الكريم قد نزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف، وأن لكل قارئ أن يختار حرفاً من هذه الحروف يقرأ به، دون أن يُعد صنيعه هذا تحريفا لنص القرآن الخالد، أو تشويها له، وإنما مراعاة لسنة أثرت عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأوحيت إليه من رب العزة، ففي الأثر قد " أنزل القرآن على سبعة أحرف، فهذا ابن مجاهد يقول: ((لا يقوم بالتمام إلا نحوي عالم بالقراءات عالم بالتفسير ،عالم بالقصص وتلخيص بعضها ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن الكريم)) "[6].

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما هو منهج أبو حيان التوحيدي في كتابه التفسير بالأثر والتفسير بالرأي؟

وتتفرع منه الاسئلة الفرعية التالية: –

1– من هو أبو حيان التوحيدي؟

2– ماهي مذاهب ومناهج ابو حيان التوحيدي في التفسير بالأثر والرأي؟

أهمية البحث:

تعد دراسة منهج أبو حيان التوحيدي في تفسيره للآيات القران الكريم بالأثر والرأي، دراسة ذات أهمية في الدراسات القرآنية واللغوية، فهي تتعلق بآيات كتاب الله، وتبحث في دور علماء الأمة الإسلامية في وضع مناهج لتفسيرها، وكذلك تعود أهمية البحث لكونها دراسة تحليلية في سيرة و كتب عالم من علماء العرب، له قيمته العلمية .

أهداف البحث :

1– إبراز سيرة أبو حيان العلمية و مصنفاته و شيوخه و تلاميذه.

2– الإسهام في إضافة دراسات بحثية رصينة حول منهج تفسير القران بالأثر والتفسير بالرأي من خلال كتاب البحر المحيط .

3– تسليط الضوء على مذاهب التفسير عند أبو حيان في كتابه البحر المحيط .

منهج البحث: اتبع البحث المنهج التحليلي للوصل لتحقيق أهداف البحث، و ذلك لملائمة هذا المنهج لهذا النوع من الدراسات البحثية.

وقد قسمت هيكلية البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول : أبو حيان التوحيدي نشأته و مصنفاته و شيوخه وتلاميذه
المبحث الثاني : منهج ابو حيان في التفسير بالأثر و التفسير بالرأي.

المبحث الأول : أبو حيان التوحيدي نشأته و مصنفاته شيوخه وتلاميذه

أولاً : الترجمة

نسبته ومولده: محمد بن يوسف بن علي بن حيان النفزي "[7] الأندلسي الجياني الغرناطي المغربي المالكي ثم الشافعي."[8] **كنيته:**(بأبي حيان) وهي التي عُرف بها وأشتهر بها بين أهل العلم (أثير الدين، أبو حيان أديب، نحوي لغوي، مفسر، محدث، مقري، مؤرخ، الأقمر، ولد أبو حيان في مدينة غرناطة سنة أربع وخمسين وستمائة وتوفي–رحمه الله تعالى–بالقاهرة في 18 صفر ودفن بمقبرة الصوفية).

من تصانيفه: كتب كثيرة أهمها كتاب البحر المحيط في تفسير القرآن، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب/عقد اللآلئ في القراءات السبع الوالي/الإعلام بأركان الإسلام/التذييل والتكميل في شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو.

نشأته:

قال عنه: جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي، المعروف بابن النقيب رحمه الله تعالى، وتلقى أبو حيان – رحمه الله تعالى – كثيرا من كتب أهل اللغة ودواوين الشعر ، وحفظ الكثير منها وهذا ما قاله عن نفسه : ((وقد حفظت في صغري في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني، واللغات المحتوي عليها دواوين مشاهير العرب الستة أمرئ القيس، والنابغة، وعلقمة، و زهير، و طرفة، وعنترة، وديوان الأفوه الأودي و حفظه عن ظهر قلب لهذه الدواوين، وحفظت كثيراً من اللغات المحتوي عليها نحو الثلث من كتاب الحماسة ، واللغات التي تضمنها قصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس لحفظي ذلك. أما النحو فقد أخذ هذا العلم من الأستاذ الفاضل الشيخ أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، وذلك من كتاب سيبويه ، قال في البحر: ((وأحسن موضوع وأجله كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه – رحمه الله تعالى–، وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعه للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك تجاني الطائي، وأحسن ما وضع في التصريف كتاب الممتع لأبي حسان علي بن مؤن بن عصفور الحضرمي الأشبيلي – رحمه الله تعالى – قال السيوطي: وأخذ القراءات

عن أبي جعفر بن الطباع ، والعربية عن أبي الحسن الأبذي، وأبي جعفر بن الزبير، وابن أبي الأحوص، وابن الصائغ، وأبي جعفر الليلي، وبمصر عن البهاء ابن النحاس وجماعة ... "[12]وتلقى علوم البلاغة بأنواعها الثلاثة على أستاذه ابن الزبير قال هذا هو بنفسه في مقدمة البحر: وقد أخذت جملة من هذا الفن عن أستاذنا أبي جعفر بن الزبير – رحمه الله تعالى–،أما علم الأصول فقد تلقاها على أكثر من شيخ وهذا ما أكده في مقدمة كتابه البحر المحيط: وقد أخذت جملة من هذا الفن من كتاب الإشارة لأبي الوليد الباجي، على الشيخ الأصولي الأديب الحسن فضل بن إبراهيم المعافري الإمام بجامع غرناطة، وعلى الأستاذ العلامة أبي جعفر بن الزبير في كتاب الإشارة في شرحها له وذلك بالأندلس.

و قد قرأ شيئا من أصول الفقه على أبي جعفر بن الزبير في الإشارة للباجي ومن المستصفي وقرأ في أصول الدين على ابن الزبير أيضاً، وقرأ شيئا في المنطق على بدرالدين محمد بن سلطان، كما وقرأ عليه من الإرشاد للعميد في الخلاف، وبرع في النحو إلى أن صار لا يعرف إلا به وكان عرياً من الفلسفة، بريئاً من الاعتزال والتجسيم، متمسكا بطريقة السلف، وكان يعظم ابن تيمية ومدحه بقصيدة ثم انحرف عنه، وذكره في تفسيره الصغير بكل سوء، ونسبه إلى التجسيم فقيل إن سبب ذلك أنه بحث معه في العربية فأساء ابن تيمية على سيبويه، فساء ذلك أبا حيان وانحرف عنه، وقيل بل وقف له على كتاب العرش، فاعتقد أنه مجسم وأكثر من سماع الحديث، حتى بلغت عدد شيوخه أربع مائة، وأجاز لهم جمع جم وقد جمعهم في كتاب البيان في شيوخ أبي حيان، فبلغوا ألفا وخمس مائة وتصانيفه تزيد على خمسين، حيث قال: جعفر الأدفوي جرى على طريق كثير من أئمة النحاة في حب علي، حتى قال مرة لبدر الدين ابن جماعة" قد روى علي قال: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق" ،هل صدق في هذه الرواية فقال له: ابن جماعة نعم فقال فالذين قاتلوه وسلوا السيوف في وجهه ،كانوا يحبونه أو يبغضونه قال: الأدفوي أيضاً كان الشيخ سيء الظن بالناس كافة، وتعقبه الصفدي بأنه لم يسمع منه في حق أحد من الأحياء ولا الأموات"[13]

شيوخه :

قال جلال الدين السيوطي: وسمع الحديث بالأندلس وإفريقية والإسكندرية ومصر والحجاز من نحو أربعمائة وخمسين شيخاً"، نذكر بعضهم على سبيل المثال :

أولاً : أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي الجياني، المولد الغرناطي المنشأ الأستاذ أبو جعفر قال أبو حيان في النضار: كان محدثاً

جليلا ناقداً، نحوياً، أصوليا، أديباً، فصيحاً، مفوها (حسن الخط مقرنا مفسراً مؤرخاً ، أقرأ القرآن والنحو والحديث بمالطة وغرناطة وغيرهما، وكان كثير الإنصاف ناصحا في الإقراء ... توفي يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول سنة ثمان وسبعمائة "[14].

ثانياً : الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الإمام أبو علي بن أبي الأحوص القرشي الفهري الغرناطي الموطن البلنسي الأصل الجياني المولد، يُعرف أيضاً بابن الناظر الحافظ النحوي، كان من فقهاء المحدثين القراء النحاة الأدباء، ألف في القراءات، توفي في غرناطة في الرابع عشر من جمادى الأول سنة تسع وسبعين وستمائة "[15] .

ثالثاً : علي بن محمد بن عبد الرحيم الخشني الأبذي أبو الحسن، قال أبو حيان في النضار: كان أحفظ من رأيناه بعلم العربية وكان يقرى كتاب سيبويه، فما دونه وكان غاية الفقر على إمامته في العلم، ولي إمامة جامع القيسارية فارتفق بعلومه، وتوفي سنة ثمانين وستمائة في رجب ." [16]

رابعاً : محمد بن علي بن يوسف العلامة رضي الدين أبو عبد الله الأنصاري الشاطبي اللغوي، قال الذهبي: ولد ببلنسية سنة إحدى وستمائة، وكان عالي الإسناد في القرآن روى عنه أبو حيان والزي والقطب الحلبي وآخرون، مات سنة ستة وأربع وثمانين وستمائة .

خامساً : محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الإمام أبو عبد الله بهاء الدين بن النحاس الحلبي النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان، ولد في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة، قال أبو حيان كان هو والشيخ محي الدين المازوري شيخي الديار المصرية، توفي سنة ثمان وتسعين وستمائة "[17] وقال أبو حيان عن شيوخه : وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة فهم كثير وأذكر الآن جملة من عواليهم فمنهم القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصاري، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس، وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب البغدادي القواس، وصفي الدين الحسين بن أبي المنصور ظافر الخزرجي، وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي ابن الدهان، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن القسطلاني، ورضي الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي اللغوي، ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمذاني، ومحمد بن مكي بن

أبي القاسم بن حامد الأصبهاني الصفار، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير ابن الفارض، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي، ومحمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم المازني، ومحمد بن الحسين ابن الحسن بن إبراهيم الداري ابن الخليلي، ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري ابن الخيمي، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر العنسي عرف بابن النن، وعبد الله بن محمد بن هرون بن محمد بن عبد العزيز الطائي القرطبي وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن فتيان بن كامل الخزامي، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس التميمي، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف ابن خطيب المزة وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري، وعبد العزيز ابن عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني، وعبد العزيز بن عبد القادر بن إسماعيل الفياني الصالحي الكتاني وعبد المعطي بن عبد الكريم ابن أبي المكارم من منجى الخزرجي، وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن إسماعيل الحسيني البهنسي المجاور، وعازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي والفضل بن علي بن نضر بن عبد الله بن الحسين بن رواحة الخزرجي ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري المكي، واليسر بن عبد الله بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري، ومؤنسة بنت السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن محمد التميمية، وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي. "[18]

مصنفاته:

أما مصنفاته فمن ذلك: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم/ إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب/ كتاب الأسفار الملخص من كتاب الصفار شرحاً لكتاب سيبويه/ كتاب التجريد لأحكام سيبويه/كتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل كتاب التنخيل الملخص من شرح التسهيل/ كتاب التذكرة/ كتاب المبدع في التصريف/كتاب الموفور/ كتاب التقريب كتاب التدريب/ كتاب غاية الإحسان كتاب النكت الحسان، كتاب الشذا الفياح في مسألة كذا/ كتاب الفصل في أحكام الفصل/ كتاب اللمحة، كتاب الشذرة/ كتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء/ كتاب عقد اللآلئ/ كتاب نكت الأمالي/ كتاب النافع في قراءة نافع/ الأثير في قراءة ابن كثير/المورد الغمر في قراءة أبي عمرو/الروض الباسم في قراءة عاصم المزن الهامر في قراءة ابن عامر/الرمزة في قراءة حمزة، تقريب

النائي في قراءة الكسائي/ غاية المطلوب في قراءة يعقوب المطلوب في قراءة يعقوب قصيدة النير الجلي في قراءة زيد بن علي الوهاج في اختصار المنهاج/ الأنوار الأجلي في اختصار المجلي/ الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية/ كتاب الإعلام بأركان الإسلام/ نثر الزهر ونظم الزهر/ قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي/ فهرست مسموعاتي/ نوافث السحر في دمائث الشعر/ تحفة الندس في نحاة الأندلس، الأبيات الوافية في علم القافية /جزء في الحديث مشيخة ابن أبي منصور/ كتاب الإدراك للسان الأتراك/زهو الملك في نحو الترك/ نفحة المسك في سيرة الترك/ كتاب الأفعال في لسان الترك/منطق الخرس في لسان الفرس.

ومما لم يكمل تصنيفه كتاب مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد/ كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك/ نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب رجز مجاني الهصر في آداب وتواريخ لأهل العصر/ خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان رجز نور الغبش في لسان الحبش/ المخبور في لسان اليخمور، قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ومولدي بغرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وست مائة تمت. "[19]

تلاميذه: –

كان أبو حيان – رحمه الله – إماماً من كبار الأئمة الأخيار، وأستاذا من أجلة الأساتذة في زمانه، فكان يرحل إليه التلاميذ من جميع الأمصار، وقد انتفعوا بعلمه فصاروا من أكابر العلماء والفقهاء، حيث يقول جلال الدين السيوطي: وتقدم في النحو وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب "[20] وقد كان إقبال الطلبة الأذكياء عليه بشكل لافت للنظر، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: –

أولاً : علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحي بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم السبكي، تقي الدين أبو الحسن الفقيه الشافعي المفسر الحافظ الأصولي النحوي اللغة ي المقرئ البياني الجدلي الخلافي النظار البارع شيخ الإسلام . توفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة بمصر "[21]

ثانياً : أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الإمام الفقيه المفسر المحدث الأصولي الأديب بهاء الدين أبو حامد الشافعي يأتي تمام نسبه في ترجمة والده قاضي القضاة في حرف العين في مكانه، ولد ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة

وسبع مائة بالقاهرة، استجاز له والده مشايخ عصره من الديار المصرية والشام، ثم أحضره مجالس الحديث وسمعه الكثير على مشايخ بلده، وسمع بنفسه، وقدم عليهم المسند أحمد بن أبي طالب الحجار فسمع عليه في الخامسة من عمره " صحيح البخاري " كاملا عن ابن الزبيدي وسمع من الكتب والأجزاء شيئاً كثيراً وحفظ القرآن العظيم ،وصلى به القيام سنة ثمان وعشرين ثم إنه اشتغل بالفقه والنحو والأصول وغير ذلك، على والده وعلى الشيخ أثير الدين أبي حيان وغيرهما، ولم يبلغ الحلم إلا وقد حصل من ذلك على شيء كبير، ونظم الشعر وأدرك الشيخ تقي الدين الصايغ صاحب السند العظيم في القراءات وسمع عليه بقراءة والده وغيره نحواً من ست قراءات في بعض أجزاء من القرآن، ولما كنت بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبع مائة أخبرني عنه تقي الدين ابن رافع أنه صنف مجلدة ضخمة فيها تناقض كلام الرافعي والشيخ محيي الدين النووي رحمهما الله تعالى، ولما صنف ذلك كان عمره ست عشرة سنة، وأذن له بالإفتاء وعمره عشرون سنة، ولما توجه والده إلى قضاء القضاة بالشام ولاه السلطان الملك الناصر محمد مناصب والده في تدريس المنصورية وغير ذلك من السيفية والهكارية، ومشيخة الحديث بالجامع الطولوني والجامع الظاهري، وولى أخويه أيضا وهما جمال الدين الحسين وتاج الدين عبد الوهاب، توفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمكة "[22].

ثالثاً: القاضي بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي ابن تمام أقضى القضاة بها الدين أبو البقاء ابن القاضي سديد الدين الأنصاري السبكي الشافعي، مولده سنة سبع وسبع مائة في ذي الحجة، قرأ القرآن وحفظ التنبيه والمنهاج للبيضاوي وقرأ العربية على الشيخ أثير الدين أبي حيان وهو من أجل تلاميذه في العربية وكمل اشتغاله على ابن عمه قاضي القضاة تقي الدين السبكي، سمع على الواني وعلى أشياخ عصره وسمع بقراءتي على أثير الدين قطعة من شعره وجود العربية وأكثر من نقلها وجود الفقه والأصلين وشرع في تعليقة على الحاوي، ولما خرج القاضي تقي الدين إلى قضاء بالشام لم يخرج معه غيره من أقاربه وأقام بدمشق مدة لا يباشر شيئاً، وسأله ابن عمه في نيابته في القضاء بدمشق فامتنع فدخل عليه برفاقه القضاة الثلاثة فدخلوا عليه وكلفوه إلى أن وافق على ذلك، وعمل النيابة على أحسن طريق وساس الناس سياسة حسنة، ورتبه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مصدراً بالجامع الأموي يشغل الناس بالعلم، ويفتي في مذهب الشافعي فكتبت له توقيعاً بذلك ونسخته، مات بدمشق سنة سبع وسبعين وسبعمائة "[23] .

رابعاً : بن محمد الحلبي شهاب الدين المقري النحوي نزيل القاهرة تعاني النحو فمهر فيه ولازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه وأخذ القرارات عن التقي الصائغ ومهر فيها وسمع الحديث من يونس الدبوسي وغيره وولي تصدير القراءة بجامع ابن طولون وأعاد بالشافعي وناب في الحكم وولي الأوقاف وله تفسير القرآن في عشرين مجلدة رأيته بخطه والإعراب سماه الدر المصون في ثلاثة أسفار بخطه، صنفه في حياة شيخه وناقشه فيه مناقشات كثيرة أغلبها جيدة، ودمع كتاباً في أحكام القرآن وشرح التسهيل والشاطبية قال الأسنوي في الطبقات: كان فقيها بارعا في النحو والقراءات، ويتكلم في الأصول خيراً أديباً، مات في جمادى الآخرة وقيل في شعبان سنة 756 "[2]

خامساً : عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن محمد بهاء الدين الحلبي البالسي الأصل نزيل القاهرة ولد سنة سبعمائة وقرأت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي، ولد سنة 694 وقدم القاهرة مملقا فلازم الاشتغال إلى أن مهر ولازم أبا حيان حتى صارمن أجل تلامذته، و شهد له بالمهارة في العربية، حتى قال مات تحت أديم السماء، انحى من ابن عقيل وأخذ عن الزين الكتاني وسمع من أبي الهدى أحمد بن محمد بداية الهداية للغزالي ومن حسن بن عمر بن عمر الكردي وابن الصاعد وابن الشحنة وست الوزراء وغيرهم ولازم القونوي ثم القزويني وأستنا به في الحكم بالحسينية وتفقه على القونوي والجلال القزويني قرأت بخط إبراهيم ابن القطب الحلبي في تاريخ أبيه قرأ النحو وبرع فيه وولي نيابة الحكم بالحسينية عن القزويني قاله إبراهيم بن القطب قلت وسمع على جماعة من متأخري شيوخنا وتولى نيابة الحكيم بمصر والجيزة عن عز الدين ابن جماعة وسار سيرة حسنة جيدة ثم ناب عن عز الدين ابن جماعة، ثم عز له لواقع وقع منه في حق القاضي موفق الدين الحنبلي وكان سببه أن القاضي عمل لولده سراج الدين أجلاساً بجامع الأقمر في صفر سنة 44 فحضره أعيان المذاهب فجرى البحث بين القاضي موفق الدين والشيخ بهاء الدين حتى أدى إلى الخروج إلى الإساءة، فغضب عز الدين لرفيقه وعزل الشيخ بهاء الدين عن نيابته و ولاها تاج الدين المناوي، ثم تعصب صرغتمش لابن عقيل فقرره في القضاء وعزل ابن جماعة وذلك في يوم الخميس ثامن عشري جمادى الآخرة سنة 759، فلما أمسك صرغتمش أعيد عز الدين فكانت مدة ولاية ابن عقيل ثمانين يوماً، وكان قوي النفس يتيه على أرباب الدولة وهم يخضعون له يعظمونه وقد درس بالقطبية وغيرها، ودرس بجامع القلعة ولي الزاوية الخشابية بعد عز الدين ابن جماعة، وكان يتاعاني

التأنق البالغ في ملبسه ومأكله ومسكنه، ومات وعليه دين وكان لا يبقي على شيء رحمه الله، قال الأسنوي في الطبقات عرف الناس في تلك المدة اللطيفة مقدار الرجلين قال وكان إماماً في العربية والمعاني والبيان ويتكلم في الفقه والأصول كلاماً حسناً، وتلا بالسبع على التقى ابن الصائغ، وكان غير محمود في التصريفات المالية، حاد الخلق، وقد درس بزاوية الشافعي أخيراً ودرس بأماكن منها التفسير بالجامع الطولوني ، قلت ختم فيه القرآن تفسيرا في مدة ثلاث وعشرين سنة ثم شرع من أول القرآن بعد ذلك فمات في أثناء ذلك، وشرح الألفية والتسهيل وهما معروفان وقطعة من التفسير وكان عزله في رمضان منها، وكان شرع في كتاب مطول سماه تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد وسماه التأسيس لمذهب ابن إدريس، أطال في النفس جدا وكان جواداً مهيباً، لا يتردد إلى أحد ولا يخلو من كثير من الناس يتردد إليه، ولما عزل ابن جماعة لم يعزل من شيء من التدارس بل عوض من معلوم القضاء من الجوالي في كل شهر بألف درهم، وجاء إلى القاضي بهاء الدين إلى منزله فهناه ثم جاءه ابن عقيل بعد ذلك إلى منزله فجلس بين يديه وقال أنا نائبك وقال شيخنا ابن الفرات كان القضاة قبله أمروا أن لا يكتب أحد من الشهود وصية إلا بأذن القاضي فأبطل ذلك وقال إلى أن يحصل الأذن قد يموت الرجل قال وفرق على الفقراء والطلبة في ولايته مع قصرها نحو ستين ألف درهم يكون اكثر من ثلاثة آلاف مثقال ذهباً ووقعت في ولايته وصية بمائة ألف وخمسين الف درهم فغرقها كلها من دينار إلى عشرة وما بين ذلك وذكره الذهبي في آخر طبقات الفراء في أصحاب.

ألتقي الصائغ في سنة727 هـ، فقال هو الإمام بهاء الدين ابن عقيل وقرأت بخط القاضي تقي الدين الأسدي ما أنصف الأسنوي ابن عقيل وكلامه فيه تحامل لأنه كان لا ينصفه في البحث وربما خرج عليه، وله في ذلك خبر، ومات في ثالث عشري ربيع الأول سنة 769 هـ. "[25]

سادساً: محمد بن عبد الله بن محمد بن لب أبو عبد الله ابن الصائغ قال أبو البركات البلفيقي كان سهلا دمث الأخلاق، دؤوبا محبا للطلب وتعاني الضرب بالعود فنبغ فيه، ورحل إلى القاهرة فاقرأ بها العربية إلى أن صار يقال له أبو عبد الله النحوي، وكانت إقامته بالصالحية المدرسة المشهورة وكان قرأ على أبي الحسن بن أبي العشرين والخطيب أبي علي القيجاطي ولازم أبا حيان، و انتفع بجاهه ومات بالطاعون العام سنة 749 او 750 هـ، محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن بهرام نجم الدين الحلبي فاق في معرفة الشروط وكتب الخط الحسن وكان حسن التلاوة ومات سنة

وتسعين وسبعمائة بحلب ،محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الخالق بن عبد القادر كمال الدين أبو الغيث ابن الصائغ ولد سنة 27 واحضر على الحجار وأسماء بنت صصرى وسمع من آخرين وخرج له ابن مسعدة مشيخة وتفقه ودرس بالعمادية وحدث وولي قضاء حمص ومات بها في ذي الحجة سنة 773 هـ، وهو أخو شيخنا أبي اليسر أحمد. "[26]

سابعاً : محمد بن عبد اللطيف بن يحيى بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي تقي الدين أبو الفتح ولد بالمحلة سنة 705هـ، في ربيع الآخر وأجاز له سنة مولده الدمياطي وغيره وأحضر على أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي، وعلي بن محمد بن هارون ويوسف بن مظفر وعلي بن عيسى بن القيم وغيرهم، ثم سمع بنفسه بقراءته وقراءة غيره من شيوخ مصر والشام والحرمين، فأكثر عن الواني وأبي الهدى العباسي وحسن بن عمر الكردي ومحمد بن عبد الحميد والختني والصنهاجي وابن قريش والحجار وسمع العالي والنازل وخرج وانتقى وتلا بالسبع على أبي حيان وتفقه على جده الصدر يحيى بن علي والقطب السنباطي وحسين بن علي الأسواني ولازم أبا حيان في العربية سبعة عشر عاما، وأخذ عن قريبه تقي الدين السبكي وصاهره و ناب عنه بدمشق في الحكم ، ولازم الشيخ تاج الدين التبريزي مدة وكان من أصح الناس ذهنا وأذكاهم فطرة قال ابن فضل الله ليس في الفقهاء بعد ابن دقيق العيد أدب منه وكان قد تأدب بشافع بن علي مع الدين المتين والورع التام درس بالسيفية بدمشق وأعاد بالمشهد الحسيني وتصدر بالجامع الطولوني ودرس بالركنية بدمشق وعلق تاريخا للحوادث في زمنه وتصدر بالجامع وأقام بدمشق إلى أن مات، زيادة على ثلاثة أعوام وذكره الذهبي في المعجم المختص فقال القاضي المتفنن له فضائل وأدب وبلاغة واعتناء بالرواية مع الخير والديانة، سمع كثيراً وكتب وخرج وصنف، وقال الأسنوي في الطبقات كان فقيها محدثا أصولياً أديباً عاقلا حسن الخط، ناب بالقاهرة في الحكم وعلق تاريخاً للمتجددات في زمانه وكان بصيرا بالأحكام متثبتاً في القضايا، وله نظم لطيف فمنه ما كتبه إلى شيخه أبي حيان مع خشكنان أهداه،

أهنئك العيد الذي حل عندما ... خلت عليه من علاك جلالا

وحاولت تعجيل المسرة والهنا ... فأهديت من قبل الهلال هلالا.

مات في ليلة السبت ١٨ ذي القعدة سنة ٧٤٤هـ، بدمشق "[27] وفاته. مات بمنزله خارج باب البحر في 28 صفر سنة 745 هـ. "[28]

المبحث الثاني : منهج أبو حيان في التفسير بالأثر والرأي.

من خلال الدراسة والبحث في تفسيره البحر المحيط تبين أن أبا حيان أقام هذا التفسير على أساس من اللغة والقواعد النحوية ، ومن هذا فقد جاء تفسيره قوياً محكما ، فتعتبر اللغة وما تحمله من معاني للمفردات وإعراب للكلمات من أهم الأركان التي اعتمدها في تفسيره لكتاب الله –عز وجل–؛ لأن – وكما نعلم – أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي فصيح ، وبلغة العرب فلابد عند تفسيره من الرجوع إلى قواعد اللغة العربية، حتى تساعد على فهم ألفاظه وشرح معانيه؛ لأنه لا يمكن ذلك كله إلا عن طريق فهم أسس علم اللغة، من قواعد صرفية، ونحوية، وغيرهما، وهذا ما كان يميز هذا التفسير عن بقية التفاسير الأخرى حسب اطلاعي المتواضع ويمكن توضح المنهج الذي سار عليه أبو حيان في تفسيره في الآتي :

أولاً – مفردات الآيات في إبتداء كل سورة :

نرى أبا حيان عند تفسير مفردات الآية يفسرها لفظة لفظة، وفي هذا أنه يقدم الأحكام النحوية لتلك اللفظة قبل التركيب، فإذا كان للكلمة أكثر من معنى ذكر ذلك في أول موضع ذكرت فيه هذه الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه.

ثم يتكلم عن أسباب النزول لكل آية أراد تفسيرها. ثم يشرع – رحمه الله تعالى – في توضيح الناسخ والمنسوخ، وهذا من الأشياء التي يجب أن يعرفها كل مفسر، أما منهجه في القراءات فكان أبو حيان ملتزم في تفسيره في إيراد القراءات المستعملة والشاذة، وتبيين ما تحتمله هذه القراءة من معاني، وهذا ما قاله بنفسه في مقدمة التفسير حاشدا فيها القراءات الشاذ منها والمستعمل ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية.

ثانياً: البحر المحيط بين التفسير بالأثر والتفسير بالرأي:

أن المتتبع لتفسير البحر المحيط يرى أن أبا حيان قد جمع بين المأثور والرأي، فنراه يذكر الآثار الثابتة عن سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – في الآية، زد على النقل من الصحابة – رضوان الله عليهم – والثقات من التابعين، وهو حين يذكر ذلك من الصحابة والتابعين والثقات لا يتقيد بذكر الأسانيد التي عني بها غيره من المفسرين بالمأثور، ونجده لا يلتزم بتخريج الأحاديث ونسبتها إلى المصادر، وفي بعض الأحيان لا يذكر راوي الحديث، بل يكتفي بشهرة الحديث بين المفسرين والعلماء .

التفسير بالرأي: وهو بين الجلي والخفي، حيث يقوم أبو حيان في تفسيره بتوضيح الجلي الواضح والخفي من الآيات، فيخرج الخفي من حيز الخفي إلى حيز الوضوح والتجلي، وهذا ما ذكره حين قال متكلماً على جليها وخفيها : بحيث إني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتى أتكلم عليها وحين تكلم أبو حيان عن غوامض الإعراب أهتم بهذا الجانب حتى يمكن القول بأن هذا التفسير يعتبر إعراباً متكاملا للقرآن الكريم ... أما من ناحية العلوم البلاغية بجميع أنواعها الثلاثة ، فقد بين – رحمه الله – وجوه الإعجاز القرآني في جل الآيات القرآنية، حيث أضاف هذا الأسلوب الأدبي لونا جديدا لفت أنظار الباحثين والدارسين، فكان يشير بعد انتهاء الآية إلى المواطن البلاغية من بيان ومعاني وبديع، ويذكر ما فيها من فصاحة، فالمتتبع لهذا التفسير يجد أبا حيان – رحمه الله – يتعرض لذكر كلام الصحابة الأجلاء والتابعين والثقات ومن بعدهم مع بيان المذاهب الأربعة مستدلاً بالأحكام التي وردت في كتب الفقه الأخرى .

ومن حيث الاستدلال لتفسير الآيات القرآنية فلا ننسى الشاهد الشعري وكيف تناوله أبو حيان، فقد حفظ الأشعار وهذا ما ساعده على الاحتجاج بها في اللغة والقواعد النحوية، فكان يكثر في ذلك لأن هذا يساعد على فهم معاني الألفاظ القرآنية، وهذه الكثرة وصلت به إلى درجة عدم نسبة الشعر إلى قائله؛ ولعل يرجع ذلك إلى أن هذا الشعر معروف عند أهل العلم في استخدامه للقواعد النحوية.

نجد بأن كل مفسر لابد أن يكون ملماً بجميع القواعد النحوية حتى يستطيع أن يقف على المعنى الذي تهدف إليه الآية القرآنية، فلقد أكثر أبو حيان من ذكر المسائل النحوية في تفسيره لدرجة أنك تستطيع أن تخرج كتاباً كاملاً في النحو.

ثالثاً : أبو حيان والمذاهب النحوية :

إن المتأمل في تفسير البحر المحيط يدرك عمق المادة العلمية التي يتحلى بها صاحبه ومدى إلمامه بالمذاهب النحوية، فهو يضع أمامه القضية النحوية ثم يذكر مواطن الخلاف بين أصحابها، فهذا الصنيع لم يكن مجرد عرض للآراء فقط، وإنما يتم طرحه من خلال الدراسة والتحليل العلمي والمنطقي ثم يرجح ما يراه موافقا لرأيه العلمي بغض النضر عن التعصبية، وهذا ما صرح به حين قال قولته المشهورة : ((ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم فكم حكم ثبت بنقل

الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكم ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون ، وإنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية)) . "[29]

ومن خلال الدراسة المتواضعة لكتاب البحر المحيط يمكن عرض أهم المذاهب التي تأثر بها أبو حيان التوحيدي، حيث كان لها الأثر البالغ في تناوله لجميع المواضيع سواء أكانت فقهية أم شرعية أم لغوية.

أولاً : المذهب البصري .

تعد مدينة البصرة أول مدينة اهتمت بتدوين النحو واللغة، ووضع قواعدها على يد أبي الأسود المتوفى سنة سبع وستين هجري، وكان من تلاميذه عنبسة الفيل، ونصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة تسع وثمانين هجري، ويحيى بن يعمر المتوفى سنة مائة وتسع وعشرين هجري، فهؤلاء جميعاً نسب إليهم ابتداء النحو العربي.

وقد جاءت بعد ذلك طبقة أخرى من أمثال أبي عمرو بن العلاء الذي عاش من سنة 70 – 154هـ، وابن أبي إسحاق الحضرمي المتوفي سنة مائة وسبعة عشرة هجري، ثم جاءت طبقة ثالثة وهي طبقة أبي زيد سعيد بن أوس المتوفى سنة مائتان وخمسة عشرة هجري، ويونس بن حبيب الذي عاش ما بين سنة 90 – 182 هـ ، ثم جاءت طبقة رابعة وهي طبقة الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي عاش ما بين سنة 100 – 175 هـ، وسيبويه عمرو بن عثمان المتوفى سنة مائة وثمانين هجري.

وكان عمل علماء البصرة في أول الأمر هو إثارة مسائل متفرقة، والنقاش حول آية أو حديث أو بيت من الشعر، ثم تستخرج القاعدة النحوية، ولم يبدأ التدوين إلا بعد فترة، ويمكن القول أن أبا إسحاق الحضرمي هو أول ما نُسب إليه التأليف، فقد قيل أنه كتب كتاباً في الهمز ثم جاء بعد ذلك عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة مائة وتسع وأربعين هجري، . فألف كتابين هما الجامع، والإكمال، ثم جاء بعد ذلك سيبويه الذي ألف كتابه المسمى (بالكتاب).

أبو حيان وموقفه من البصريين:

أن الجدير بالذكر أن أبا حيان – رحمه الله – لم يكن مجرد ناقل للمسائل فقط ، بل كان محللاً ناقداً، بهذه الطريقة وصل إلى مكانة عالية في النحو لم يصل إليها أحد من معاصيره، فهو يختار ما هو مناسب لتفسير الآية دون النظر القائلة، فلا يُقلد أحد، حيث فقال عن البصريين:

(لسان العرب ليس محصوراً فيما نقله البصريون فقط، والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه ، بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء البصرة) "[30]، ومن أمثلة ما نقله عن نحاة البصرة ما نقله في مواضع عدة في كتابه عن الخليل بن أحمد في تفسير قوله تعالى: ((وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقّ قَدْرِهِ)) "[31] ، حيث قال : وينفصل عن هذا أن يكون المعنى: ما عظموه العظمة التي في وسعهم وفي مقدورهم وما عرفوه كذلك، وقال أبو العالية : واختاره الخليل بن أحمد معناه: ما وصفوه حق صفته فيما وجب له واستحال عليه وجاز ، وقال ابن عباس أيضاً: ما أمنوا بالله حق إيمانه وعلموا أن الله على كل شيء قدير، "[32]،كما وقال أيضا : في تفسير قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)) "[33]، قال الخليل بن أحمد : سنطوي أعمارهم في اغترار منهم، "[34] وقال في موضع آخر: وقرأ بعض المكيين فيما روى عنه الخليل بن أحمد وحكاه عن ابن عطية { مردفين } بفتح الراء وكسر الدال مشددة أصله مرتدفين فأدغم؛ وقال أبو الفضل الرازي وقد يجوز فتح، وروي عن الخليل أنه يضم الراء إتباعا لحركة الميم لقولهم مخضم؛ وقرئ كذلك إلا أنه بكسر الراء إتباعا لحركة الدال أو حركت بالكسر على أصل التقاء الساكنين . "[35]، وقال: وقرأ الخليل بن أحمد: فرغاً، بضم الفاء والراء" [36]، إلى غير ذلك من المواضع التي لا يسع المقام لذكرها.

وفي مواضع آخر ينقل رأي الخليل عن سيبويه فيقول: قال سيبويه، مثال ذلك عندما تكلم عن تفسير قوله تعالى: ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾)) "[37] قال سيبويه: وقد تكلم على ضربت زيداً ما نصه: وإذا قدمت الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك، يعني تأخيره عربياً جيداً وذلك قولك زيداً ضربت. والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخي "[38]،وقال عنه في موضع آخر: وهذا الوجه غريب النقل لا يعرفه إلا من له اطلاع على كتاب سيبويه وتنقيب عن الطائفة، قال سيبويه، رحمه الله تعالى "[39].

وقال كذلك: ... وهذه الأقوال، أعني التوكيد والتأبيد ونفي ما قرب: أقاويل المتأخرين، وإنما الرجوع في معاني هذه الحروف وتصرفاتها لأئمة العربية المقانع الذين يرجع إلى أقاويلهم. قال سيبويه، رحمه الله: ولن نفي لقوله: سيفعل، وقال: وتكون لا نفياً لقوله: تفعل، ولم تفعل انتهى كلامه." [40] ، ومن النحاة البصريين الذين نقل عنهم المبرد، وهو يعتبر من أئمة البصرة المتقدمين، فأبو حيان نقل عن المبرد الكثير مثال ذلك. قال المبرد: أصل العنت أن يحمله العشق والشبق على الزنا، فيلقي العذاب في الآخرة، والحد في الدنيا. وقال أبو عبيدة والزجاج: العنت الهلاك. " [41] وقال أيضاً:

وانتصب عصبة على الحال، وهذا كقول العرب: حكمك مسمطاً حذف الخبر. قال المبرد: قال الفرزدق: يا لهذه حكمك مسمطاً ... أراد لك حكمك مسمطاً، واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفا،" [42]"، وقال في مواضع آخر: ويقال: أقنع رأسه نكسه وطأطأه، فهو من الأضداد. قال المبرد: وكونه بمعنى رفع أعرف في اللغة. "[43] وقال كذلك: قال المبرد: وهذا سائغ في القرآن " [44] ".

المذهب الكوفي:

كما نعلم أن البصرة كانت هي أول من قامت بوضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم ، ووضع الإعجام، فكل القواعد الصرفية والتحوية والتي تبلورت عند ابن أبي إسحاق والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل، فكانت هذه المدرسة مهتمة بهذه الأشياء وغفلت عن اشياء أخرى مثل الفقه والقراءات فكان هذا كله من اهتمام المدرسة الكوفية، وهذا مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم الإسلامي ، وهم عاصم وحمزة والكسائي، واهتمت بعناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر كما قال أبو الطيب اللغوي : ((الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين في دواوينهم)) " [45] ".

وذكرت كتب التراجم أولية النحو الكوفي مجسدة في أبي جعفر الرُواسي ومعاذ الهراء أما الرواسي فيقول المترجمون: أنه أخذ النحو عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وعاد إلى الكوفة فتتلمذ عليه الكسائي، وألف كتاباً لتلاميذه سماه (الفيصل) وكان يزعم أن كل ما في كتاب سيبويه من قوله: (وقال الكوفي). ولاشك أن بداية النحو الكوفي كانت بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله وهذا ما أكده أبو الطيب اللغوي حين قال: ((كان عالم أهل الكوفة وإمامهم إليه ينتهون بعلمهم وعليه يعولون في روايتهم)). والناضر في كتاب البحر المحيط يجد أن أبا حيان كان كثير النقل عن المذهب الكوفي وعلي رأسهم الكسائي فقد نقل عنه الكثير والكثير، وكذلك نقل عن الرواسي، وأثنى عليه وقال عنه إنه من أئمة الكوفة، ونقل أيضاً عن الفراء في مواضع عدة وكذلك نقل عن ثعلب، ومن أمثلة ما نقل على المذهب الكوفي عند قوله تعالى: ((وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ)) " [46] "وذهب الفراء إلى أن وزنها : تفعله ، كتوصية، ثم أبدلت كسرة العين فتحة والياء ألفا. كما قالوا في : ناصية وجارية: ناصاه وجاراه. وقال الزجاج: كأنه يجيز في

توصية توصاه ، وهذا غير مسموع ، وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها : تفعله ، بفتح العين من : وريت بك زنادي وتجوز إمالة التوراة "[47]، وقال كذلك في تفسير قوله تعالى: ((بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) "[48]، وحذفت الألف من بسم هنا في الخط تخفيفا لكثرة الاستعمال، فلو كتبت باسم القاهر أو باسم القاد، فقال الكسائي والأخفش : تحذف الألف . وقال الفراء : لا تحذف إلا مع { بسم الله الرحمن الرحيم } لأن الاستعمال إنما كثر فيه ، فأما في غيره من أسماء الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الألف ." [49] وقال أيضاً : وحكى الكسائي عن بعض العرب أنه يقرأ الرحيم الحمد بفتح الميم وصلة الألف ،كأنك سكنت الميم وقطعت الألف، ثم ألقيت حركتها على الميم وحذفت ولم تر، وهذه قراءة عن أحد" [50] ،"ونقل كذلك عن ثعلب حين قال: وإذا قلت الله رحمن ففي صرفه قولان ليسند أحدهما إلى أصل عام، وهو أن أصل الاسم الصرف، والآخر إلى أصل خاص، وهو أن أصل فعلان المنع تغلبته فيه ، ومن غريب ما قيل فيه إنه أعجمي بالخاء المعجمة فعرب بالحاء، قاله ثعلب ." [51] وأكثر النقل عن الفراء ومن ذلك قوله الهدى: مصدر هدي، وتقدم معنى الهداية، والهدي مذكر وبنو أسد يؤنثونه، يقولون: هذه هدي حسنة، قاله الفراء في كتاب المذكر والمؤنث " [52] ،وكذلك نقل عنه (... وفي كون الجملة تقع فاعلة خلاف مذهب جمهور البصريين أن الفاعل لا يكون إلا اسما أو ما هو في تقديره، ومذهب هشام وتعلك وجماعة من الكوفيين جواز كون الجملة تكون فاعلة، وأجازوا تعجبني يقوم زيد، وظهر لي أقام زيد أم عمرو، وأي قيام أحدهما ومذهب الفراء وجماعة : أنه إن كانت الجملة معمولة لفعل من أفعال القلوب وعلق عنها، جاز أن تقع في موضع الفاعل أو المفعول الذي لم يسم فاعله وإلا فلا ، ونسب هذا لسيبويه) "[53] .

المذهب البغدادي:

جاءت فترة من الزمن واجتمع فيها الفريقان – البصري والكوفي – في بغداد، بهدها اتجهت آراء العلماء إلى ثلاث أنحاء، وقد تميزت، بل تمايزت تبعاً لاختلاف نزعات أصحابها فكانت الطائفة الخالطة بين النزعتين البصرية والكوفية تزاول المذهبين دون عصبية في المسائل فاتسعت هذه الحركة حتى احتلت مكانا بين المذهبين، فظهر مذهب آخر جديد مؤلف بين المذهبين بفروق قليلة، سمى المذهب البغدادي؛ لأنه ظهر في أرض بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري على يد مجموعة من النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب، وبذلك نشأ جيل جديد من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، وكان من أبرز

هذه المدرسة ابن قتيبة ، وابن كسان، وابن السراج وأبو علي الفارسي، وابن جني، والزجاجي، وابن الشجري ... وغيرهم من العلماء الذين لا يسع المقام لذكرهم ، و قد نقل أبو حيان – رحمه الله – في كتابه الكثير من هذه الآراء عن هذا المذهب، فقد نقل كثيراً عن أبي علي الفارسي ورد عليه في بعض المواضع منها على سبيل المثال في تفسير سورة الفاتحة : .... وقال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله ، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين" [54] ونقل عنه أيضاً، قال أبو علي الفارسي لم أسمع من الغشاوة فعلا متصرفاً بالواو ، وإذا لم يوجد ذلك كان معناها معنى ما اللام منه الياء غشي يغشى بدلالة قولهم : الغشيان والغشاوة من غشي، كالجباوة من جبيت في أن الواو كأنها بدل من الياء إذا لم يصرف منه فعل، كما لم يصرف من الجباوة انتهى كلامه [55]" ولم يسلم أبو حيان لهذا المذهب، بل أخذ عليه بعض المؤاخذات حين طعن في أبي علي الفارسي، نلاحظ هذا حين قال : وأجاز أبو علي الفارسي في الحلبيات أن يكون هو ضمير الشأن وهذا ميل منه إلى مذهب الكوفيين" [56]"،كما و قد نقل قوله أيضاً قال أبو علي الفارسي في (الإيضاح) ولو قلت علمت أن يقوم زيد ، فنصبت الفعل: بأن، لم يجز، لأن هذا من مواضع: أن، لأنها مما قد ثبت واستقر، كما أنه لا يحسن: أرجو أنك تقوم ، وظاهر كلام أبى علي الفارسي مخالف لما ذكره سيبويه من أن يجوز أن تقول: ما علمت إلا أن يقوم زيد، فأعمل: علمت ، في : أن . " [57]"

المذهب الأندلسي :

بعد أن استقلت الأندلس ودخلت في عهداً جديداً، وبدأت الحركة العلمية تنتشر فيها بفضل مناصرة بني أمية اللغة كعادة بني أبيهم في المشرق، فأرغبوا العلماء في العلم وحثوهم على دراسة مختلف التصانيف، فأخذت دراسة النحو في الأندلس تزدهر منذ عصر ملوك الطوائف فنحاة الأندلس يخالطون جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين ويأخذون من أراءهم ويضفون اليها بعض الآراء الجديد من خلال ذلك ظهر هذا المذهب، ولعل خير دليل على ذلك ما ذهب إليه الأعلم الشنتمري المتوفى سنة أربع مائة وست وسبعين للهجرة الشريفة فهو أول من نهج لنحاة الأندلس، فقد كان لا يكتفي في الأحكام النحوية بالعلل الأولى التي يدور عليها الحكم مثل أن كان المبتدأ مرفوع ، بل كان يطلب عنة ثانية لمثل هذا الحكم يوضح بها لماذا رفع المبتدأ ولم يُنصب، وهناك عالم آخر من علماء المدرسة الأندلسية هو سعيد عبد الله بن محمد البطليوسي المتوفى سنة خمسمائة

وإحدى وعشرين للهجرة، وابن الباذش ، وابن الطرواة وابن عصفور، والسهيلي، وابن مالك ... وغيرهم . ولقد أكثر أبو حيان النقل عنهم .

شخصية ابى حيان النحوية: رغم كثرة المذاهب التي وردت في كتابه إلا أن أبا حيان – رحمه الله – لم يكن دائما يأخذ بمذهب واحد، بل يختار ما يشاء من هذه المذاهب وفق القواعد الأصلية لهذا الفن، فحقا لم يدع إلى إلغاء نظرية العامل في النحو، ولكنه مرارا إلى إلغاء ما يتعلق به النحاة من كثرة التعليل للظواهر لغوية ونحوية وجلب تمارين غير عملية، وهذا ما ذكره السيوطي حينما تعرض لذلك في غير موضع وأول هذه المواضع تعليقه على خلاف البصريين والكوفيين في الإعراب وهل هو أصل في الأسماء فرع في الأفعال أو لا؟، فقد قال: ((هذا الخلاف الذي ليس فيه كبير منفعة)) "[58].

كما علق على تعليلهم الجر من الفعل والجزم من الأسماء، ولحقوق تاء التأنيث الساكنة للماضي دون أخويه بأن تعليل أمثال ذلك ينبغي أن يُمنع؛ لأنه يؤدي إلى تسلسل السؤال يقول: إنما يُسأل عما كان يجب قياساً فامتنع، وكان يعارض الكوفيين ومن يتبعهم أحياناً مثل ابن مالك في القياس على الشاذ النادر قائلا إن ذلك يفضي إلى إلتباس الدلالات وصور التعبير.

ونرى أن أبا حيان دائماً يميل لسيبويه وجمهور البصريين، مما يجعله يقف في وصف مقابل لابن مالك وما انتهجه لنفسه من متابعة أراء الكوفيين كثيراً، وهذا ليس معناه أنه رفض جميع الكوفيين وما ذهبوا إليه، فقد كان يختار منهم بعض الآراء، فعلى سبيل المثال في عامل الرفع في المبتدأ الخبر وعامل الرفع في الخبر المبتدأ فهما مترفعان، وكذلك ما ذهبوا إليه مع الأخفش من أن الفعل الماضي يقع حالا دون (قد) ودون تقدير لها كما جاء في. في قوله تعالى: ((أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ "[59]أن يكون أخرج حالاً بإضمار قد، كقوله: {أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} انتهى، وإضمار قد قول للبصريين ومذهب الكوفيين. والأخفش: أن الماضي يقع حالاً، ولا يحتاج إلى إضمار قد، وهو الصحيح، ففي كلام العرب وقع ذلك كثيرا "[60]ومن ذلك أيضاً قراءة الآية الكريمة:((كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضدا))"[61] " بتنوين (كلا) على أنها مصدر من الكل بمعنى الأعباء أو الثقل أي (حملوا كلا) وجوز الزمخشري أن تكون (كلا) في القراءة هي نفسها حرف الردع ونون كما نونت سلاسلا في الآية وهي قوله تعالى : ((إنا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلَالا وَسَعِيرًا)) "[62] ورد أبو حيان قائلاً : إن ذلك صح في (سلاسلا) ؛ لأنه اسم أصله التنوين فرجع به إلى أصله

للتناسب ، أو على لغة من يصرف ما لا ينصرف ومن ذلك توجيه الزمخشري لقراءة المضارع بالغيبة في قوله تعالى : ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سبيل اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ "63" قال أبو حيان : ... وما ذهب إليه من أن التقدير: ولا تحسبنهم الذين قتلوا أمواتاً لا يجوز ، لأن فيه تقديم المضمر على مفسره وهو محصور في أماكن "64"، ومن المسائل التي تصدى لها أبو حيان في كتابه، ما ذهب إليه بن مالك إلى أن الفعل الماضي قد يدل على الاستقبال في مواضع هي : بعد همزة التسوية، أو بعد أداة التحضيض، أو بعد كلما مثل قوله تعالى : ((كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جلودا)) "65" وبعد حيث مثل قوله تعالى : ((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام)) "66".

وبعد الصلة مثل قوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ)) "67" وأنكر أبو حيان هذه الدلالة للماضي ، وقال الذي نذهب إليه فيها جميعاً الحمل على المضي لإبقاء اللفظ على موضعه ومع كل ما تقدم ذكره فإن لأبي حيان اجتهادات و تخريجات وأراء انفرد بها في كتابه البحر المحيط، من ذلك أنه كان يذهب إلى أن (أن المصدرية لا توصل بالأمر، وأن (أن) الموصلة التي به في بعض العبارات مثل: " كتبت إليه أن قم " تفسيرية فقال: لأن أن إذا دخلت على فعل الأمر وكانت المصدرية أنسبك منها ومن الأمر مصدر، وإذا أنسبك منهما مصدر زال منها معنى الأمر ، وقد أجاز النحويون سيبويه وغيره أن توصل أن المصدرية الناصبة للمضارع بالماضي وبالأمر، قال سيبويه : وتقول: كتبت إليه بأن قم، أي بالقيام فإذا كان الحكم كذا كان قوله : { لنسلم } { وأن أقيموا } في تقدير للإسلام، "68" كما ذهب إلى أن اللام في مثل قوله تعالى : ((وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبت)) "69" ، هي لام الابتداء مفيدة لمعنى التوكيد. فقال: اللام في لقد: هي لام توكيد، وتسمى: لام الابتداء في نحو: لزيد قائم. ومن أحكامها: أن ما كان في حيزها لا يتقدّم عليها، إلا إذا دخلت على خبر إن على ما قرر في النحو. وقد صنف بعض النحويين كتاباً في اللامات ذكرها فيه وأحكامها. ويحتمل أن تكون جواباً لقسم محذوف، ولكنه جيء على سبيل التوكيد، "70" وذهب أبو حيان في تقدير قول بعض العرب " ما أنت وزيداً " و " كيف أنت وزيداً " على تقدير كان المحذوفة على أنها الناقصة لا التامة بخلاف أبي علي الفارسي وغيره من النحاة، فالمحذوفة هي كانت التامة.

وفاته:

وقد توفي أبا حيان رحمه الله، بالقاهرة في18 صفر، سنة سبعمائة وخمس وأربعين هجري ودفن بمقبرة الصوفية.

أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج:

على القراءات القرآنية التي وردت في هذا التفسير وناقشتها من خلال الحوارات يحتوي على أغلب الدراسات، فهو عبارة عن العامة والنحو والدراسات الإسلامية.

هو النوع أبي حيان العلمي توقعه فهذا العالم متعدد الجوانب العلمية اللغوية والنحوية والأدبية زد على تصريف فهو عالم في كافة العلوم فساعده على ذلك مجالسته مع العلماء.

ان العالم إلا حيان له مؤلفات كثيرة في علوم اللغة والنحو. كما ان أبا حيان لم يقتصر تأليفه على علوم اللغة العربية فحسب بل ألف كتباً في المدرسة والحبشية، فهذا يدل على سعة الرجل الثقافية ويمكن القول أن أبا حيان كان كثير التنقل من المغرب إلى المشرق فقد نقل في تألفيه اراء البصرية والكوفية وأهل المغرب، فصار تفسيره موسوعة كبيرة يرجع إليها المدارس، فقد نقل في كتابه المسموع من كلام العرب شعراً ونثراً، فقد استشهد بالشعر، كما أجمع جمهور العلماء على جواز الاحتجاج بشعرهم؛ وذلك لغرض إثبات الإحكام النحوية.

واهتم أبو حيان بالقراءات القرآنية بالغ الاهتمام فقد حشد في تفسيره لصحيحها وشاذها، فقد تناولها بالعرض والتوجيه ومناقشتها والدفاع عنها من الذين اعترضوا على القراءات ووصفوها باللحن تارة والضعف والإنكار تارة أخرى ومن خلال البحث والدراسة تبين أن أبا حيان كان مستقلاً بالرأي.

التوصيات:

أن تفسير البحر المحيط للقراءات القرآنية قد استعان بها أبو حيان في تحليله للنص القرآني وتوجيه معناة والقراءات القرآنية بها ثروة لغوية ونحوية، يمكن الاستفادة منها في إثراء الدرس اللغوي والقواعد، كما ظهر من خلال هذه الدراسة استقلال أبي حيان وعدم تعصبه لمذهب بعينه، و اتسم منهج أبو حيان تجاه القراءات القرآنية بالاعتدال؛ فهو لا يرجح قراءة على قراءة ولا يطعن فيها، بل تراه يدافع عنها ويحتج لها.

الهوامش:

1-أخرجه الأنباري في الإيضاح (1/5) بهذا النفط. وأخرجه الترمذي (2966)، والدراسي (2399). قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال أبو حاتم في (العلل :8602: هذا حديث منكر، ومحمد بن الحسن ليس بقوي. وأورده الذهبي في ميزان الاعتدال (3/ 515) وقال حسنه الترمذي فلم يحسن.

2- أخرجه الطبري في تفسيره (1/ 30) ، وابن حيان (745)

3. أخرجه البخاري (3719)، ومسلم (819) (273)، ومن حديث ابن عباس – رضي الله عنه.

4. أخرجه البخاري (5027)، وأبو داود (1452). والترمذي (1907، 2908)

5- أخرجه البخاري (5026) (7232) (7526) والنسائي في (الكبرى) (8073) ، وأحمد (2 / 479)

6- ينظر : إيضاح الوقف والابتداء أبو بكر الانباري . ص 25 – تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان – دمشق1971 .

7- نسبة إلى نفزة بالفتح ثم السكون، وهي مدينة بالمغرب بالأندلس. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: ج 5 ص 342

8- نفح الطيب : ج 3 ص289 ، والنجوم الزاهرة : ج 10 ص 111، و شدرات الذهب : ج 6 ص 45 .

9- نفح الطيب : من غص الاندلس الرطيب للمغربي ط 1 القاهرة 1302هـ – ج 3 ص 194 .

10- المصدر السابق :

11- غاية النهاية ، لابن الجزري .غاية الفهابة في طبقات القراء ، تاليف شمس الدين ابي الخير محمد بن محمد الجزري(ت 833هـ) بلا تاريخ ، ج 2 ص285.

12- بغية الوعاة: في طبقات اللغويين والنحاة تاليف: جلال الدين السيوطي . تمحمد ابو الفصل ابراهيم، مصر، 1377 ، 1985 م . ج1ص 280.

13- الدرر الكامنة ، للحافظ بن حجر :الدرر الكامنة في اعيان المئة للحافظ بن حجر (852-هـ) دار الجبل ، بيروت ، نسخة مصورة عن طبعة حيدر اباد الركن سنة 45 – 1950 م ، ج5 ص 75 .

14- البغية : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تاليف : جلال الدين السيوطي تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، 1377 – 1985 ، ج 1 ص 280 .

15- البغية : ج 1 ص 35، وغاية النهاية : ج 1 ص 242 .

16- المصدر السابق : ج 2 ص 199 .

17- المصدر نفسه : ج 1 ص 194 .

18- الوافي بالوفيات : تاليف : صلاح الدين بن ابيك الصفري ، طهران ، ج 2 ص 192.

19- الوافي بالوفيات : ج 2 ص 193 .

20- البغية : ج 2 ص 280.

21- البغية : ج 2 ص176 - 177 ، غاية النهاية : ج 1 ص 551 .
22- الوافي بالوفيات : ج 2 ص 462.
23- الوافي بالوفيات : ج 1 ص 382.
24- الدرر الكامنة : ج 1 ص 114 .
25- الدرر الكامنة : ج 2 ص 276.
26- الدرر الكامنة : ج 2 ص 9 .
27- المصدر السابق : ج 2 ص 23 .
28- المصدر نفسه : ج 2ص 124 .
29- البحر المحيط: تاليف اثير الدين ابي عبدالله محمد بن يوسف ابن حيان الاندلسي (ت 745 هـ) دراسة وتحقيق وتغليف: الشيخ عادل احمد الشيخ علي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، 2001م ، ج 4 ص 15 .
30-البحر المحيط: ج 3 ص 121.
31- الأنعام : من الآية :91 .
32- البحر المحيط : ج 5 ص 201 .
33- الأعراف : الآية : 182 .
34- البحر المحيط : ج 5 ص 500 .
35- البحر المصدر السابق : ج 6 ص 38 .
36- المصدر نفسه : ج 9 ص 6.
37- الفاتحة : الآية : 4 .
38- البحر المحيط : ج 1 ص 3 .
39- المصدر السابق : ج1 ص 10 .
40- البحر المحيط : ج 1 ص 129 .
41- المصدر السابق : ج 4 ص 100.
42- المصدر نفسه : ج 6 ص 458.
43- المصدر نفسه : ج 7 ص 172 .
44- المصدر نفسه : ج 7 ص: 277 .
45- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي (ت – 351) تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة 1375 هـ ، ص 74.
46- ال عمران : من الآية 3 .

47- البحر المحيط : ج 3 ص 132.
48- الفاتحة : الآية : 1 .
49- البحر المحيط : ج 1 ص 3 .
50- المصدر السابق : ج 1 ص 5 .
51- المصدر نفسه : ج 1 ص 2.
52- المصدر نفسه : ج1 ص 26 .
53- المصدر نفسه : ج 1 ص43.
54- البحر المحيط : ج 1 ص 4 .
55- المصدر السابق : ج ص 42.
56- المصدر نفسه : ج 1 ص 410 .
57- المصدر نفسه : ج 1 ص 411.
58- الهمع :همع الهوامع في شرح جمع الجوامع في علم العربية ، ت . جلال الدين السيوطي (911 هـ) ، محمد بدر الدين ، دار المعرفة بيروت ، ج 1 ص 15.
59- النساء : من الآية : 87.
60- البحر المحيط : ج 10 ص 431 .
61- مريم : الآية : 82.
62- الإنسان : الآية : 4 .
63- ال عمران : من الآية : 169 .
64- البحر المحيط : ج 3 ص 457.
65- النساء : من الآية : 56.
66- البقرة : الآية : 149 .
67- المائدة : من الآية : 34.
68- البحر المحيط : ج ٥ ص 181 .
69 - البقرة : من الآية : 65.
70- البحر المحيط : ج 1 ص 316.